بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة جمعة

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم
وأشهد أن لا إله إلا الله تولّى أهل العلم بالسكينة والوقار
والتواضع وجعلهم ورثة العلماء العاملين الذين انتفعوا ونفعوا
وأشهد أن محمدًا رسول الله لم ينطق عن الهوى قدوة العاملين
العاملين إلى يوم الدين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين وبعد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((تعلّموا العلم، وتعلّموا للعلم السكينة والوقار
وتواضعوا لمن تعلّمون منه)).

أيها الأحبة

إن وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بجعلنا نقف على المعنى
المراد منه قوله تعالى ((إنما يخشى الله من عباده العلماء))
أي أنه حقيقة العلم هو خوف العلم والمعرفة به سبحانه- فمن
اشتدت معرفته بربه كان أخشاهم له كما ورد في الحديث ((أنا
أخشاكم لله وأتقاكم له))

من هنا نستطيع أن نعرف أن العلماء الحقيقيين
هم الأصفياء بأخلاقهم وآدابهم إلى أن يرث الله الأرض ومن
عليها - إنهم العارفون بالله الذين ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه
من العلم والمعرفة إلا بالتقوى لربهم: ((الخوف من الجليل، والعمل
بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل والرضا بالقليل))

وإلى هذا يشير الله تعالى في قوله: «واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم»
وفي هذا وعد من الله تعالى بأنه من اتقاه علمه، أي يجعل في قلبه
نورًا تفهم به ما يلقى إليه وقد يجعل الله في قلبه فرقانًا أي فصلًا
تفصل به بين الحق والباطل ومنه قوله: «يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا
الله يجعل لكم فرقانًا ..»

لقد ورد في سيرة الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه كان شديد
الذكاء إذا أراد أن يقرأ في كتاب وضع كفه اليسرى فوق الصفحة
اليمنى حتى لا تحفظ قبل اليمنى.

ولما كان غلامًا صغيرًا في سنة السابعة جلس في مجلس الإمام مالك رضي الله عنه
بالمدينة المنورة. وكان الإمام مالك يقرأ في درسه أحاديث الرسول
صلى الله عليه وسلم في مسجده، وكانت عادته إذا ذكر الحديث
أن يقول: لعن الله فلانًا لعن صاحب هذا المقام ثم يشير إلى
قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فرأى الصبي الشافعي
يقبض بأنامله على حصى الحصير تعبد الله يتبلغ بريقه فوق يده. فحفظه
الإمام مالك ثم انتظر حتى أنهى درسه الذي حضره الجميع
جميعًا ثم ناداه فأقبل وجلس بين يديه فعاتبه قائلًا له:
لماذا كنت تقبض أثناء تلاوة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
فقال: يا سيدي ما كنت أقبض وإنما كنت أستجلب
بريقي ما تقول حتى لا أنسى.. إني فقير ولا أملك
الدراهم الذي أشتري به القرطاس والقلم
فتعجب الإمام ثم قال له: إذا كنت صادقًا فاقرأ

ولو حدثنا واحدٌ من الأحاديث الأربعية التي قرأتُ في درس الليلة مجلس الشافعي كما كان يجلس أستاذه الإمام وقال: عن فلان عن فلان عن صاحب هذا المقام وأشار إليه كما أشار الإمام ثم قرأ الأربعية حديثاً..

وفي يوم من الأيام رأى أن ذكاءه قد ضعف ولم يعد في الدرجة التي كان عليها من قبل، فقال مخاطباً نفسه: لا بد وأن يكون هناك سبب لهذا — فماذا فعل ليعرف هذا السبب؟ ذهب إلى أستاذه الإمام وكيع وشكا له سوء حفظه وإليك ما قاله الشيخ رضي الله عنه في قوله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي

وقيل إن المعصية التي ارتكبها وكانت سبباً في ضعف ذاكرته — هي أنه في تلك الليلة التي حدث فيها هذا كان قد أكل كثيراً طعاماً قبل أن يقرأ الورد الذي اعتاد أن يقرأه قبل أن ينام.

وصف الإمام تذكر بقول الحكيم القائل: «إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء وحرم من خير كثير».

أما إذا أراد الشخص أن يكون من أهل العلم النافعين

٤

فعليه ملاحظة ما قاله الشافعي في ذكر الشروط التي
لابد أن يستوفيها طالب العلم وهي:

أخذ الله تعالى العلم بالسنة: فعليك بتحصيل بيانه
ذكاء وحرص واجتهاد وورع: وصحبة الأستاذ وطول زمانه

وعلى طالب العلم أن ينفذ ما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أن يكون من أهل
السكينة والوقار والتواضع للمعلم الذي سيتعلم منه.
أيها طالب العلم
تزود بالعلم كلما أمكنك ذلك فالعلم بحر لا شاطئ له
وكما قال علي كرم الله وجهه «العلم نهر والحكمة بحر، فالعلماء
هم أهل النهر بطوفونه، والحكماء وسط البحر يغوصونه، والعارفون في
قصد النجاة يسيرونه»

كن طالباً للعلم حتى آخر لحظة في حياتك من المهد إلى اللحد
واحسب أنك تقرأ قول الله تبارك وتعالى لأعلم خلقه من صلوات
الله وسلامه عليه «... وقل رب زدني علماً»
بقوله تعالى لجميع خلقه «... وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً»
واذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يزال طالب العلم عالماً فإذا طلب
العلم حتى إذا ظن أنه عالم فقد جهل»

أيها الطالب العلم: إن التواضع لطلب العلم ولو كنت
حاصلاً على أعلى الدرجات العلمية صفة عظيم تطلع
إليه وتنبأ، ودلنا على ذلك الدرس القرآني

الذي سجله الله تعالى في سورة الكهف والذي كان بين
سيدنا موسى والعبد الصالح "الخضر" عليهما الصلاة والسلام
فقد أمر الله سبحانه - موسى عليه الصلاة والسلام أن يقف خطيبا
في بني إسرائيل لكي يذكرهم بأيام الله وما آتاهم من الخير
والنعمة إذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم
في الأرض ثم قال وكلم الله نبيكم كلما واصطفاه لنفسه
حين آتاكم من كل ما سألتموه فجعلكم أفضل أهل الأرض ورزقكم العز
بعد الذل، والغنى بعد الفقر، والثراء بعد أن كنتم جرباً لا فقال
له رجل منهم: عرفنا الذي تقول فهل على وجه الأرض أحد أعلم
منك يا نبي الله فقال: لا فعتب الله عليه حين لم يرد
العلم إلى الله وقال: «الله أعلم بذلك» فبعث الله جبريل
ليقول له: أن يا موسى وما يدريك أين أضع علمي؟ بلى.. إن
لي عبدا بمجمع البحرين أعلم منك..

فلما سمع موسى عليه السلام هذا تشوفت نفسه الفاضلة
وهمته العالية لتحصيل علم لم يعلم وللقاء فيه مع من قيل
فيه: إنه أعلم منك فعزم فسأل سؤال الذليل بكيف السبيل
فأمر بالارتحال إلى كل حال وقيل له احمل معك حوتا في مكتل
فهو ما يحمل فيه الحوت وهو من الخوص، فحيث يحيا وتفقده
فثم السبيل فانطلق مع فتاه يوشع بن نون وقال إنه ابن أخته
وكان مجتهدا في طلبه قائلا «لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا»
أي سأظل أبحث عن هذا العبد الصالح حتى لو استمر البحث عنه
لمدة ثمانين عاما أو أكثر من ذلك إلا أن يشاء الله

٦

في هذه القصة شيء تأدب الفتى مع سيدنا موسى
حيث ورد قوله في القرآنه: فإني نسيت الحوت وورد
في القرآنه قول الله: "نسيا" فنسب القرآنه النسيانه إلى سيدنا موسى وفتاه
ولكنه أدب الفتى ظهر حينما نسب النسيانه إلى نفسه ولم ينسبه
إلى أستاذه موسى عليه السلام؛ وهذا الموقف يذكرنا بقول
الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام: «وإذا مرضت
فهو يشفين» فنسب المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله
مع أنه كليهما من الله سبحانه وتعالى (الصواب: لم يقل «وإذا أمرضني فهو يشفين»)
ولكنه الأدب
الذي لا بد أنه نلاحظه مع معلمينا ...

إن سيدنا موسى فقد قال للخضر العبد الصالح ما جاء في القرآنه:
«قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا» أي هل
تتفضل لك وتمن علي؟ وهذا سؤال المتلطف والمخاطب
المستنزل الطالب في حشمة الأدب وفي هذه الآية دليل
على أن المتعلم تتبع للفاضل وإن تفاوتت المراتب، فقد
كشف عنه الفاضل ما يقلقه المفضول والفضل لمن
فضله الله، فقد كان موسى عليه السلام أفضل عند الله من الخضر
لأنه نبي ورسول ومع ذلك فقد وقف موسى أمام الخضر
موقف التلميذ المؤدب مع أستاذه ..... وعرف
منه بواطن الأمور التي كانت خافية على علمه الذي كان
مقتصرا على الأحكام والقشر لظواهر أحوال الناس وأفعالهم

وقبل أن يفارقه الخضر عليه السلام طلب سيدنا موسى من الخضر أن يوصيه فيقول له سيدنا الخضر:

"كن لبيبًا ولا تكن مضحاكًا. ودع اللجاجة ولا تمشِ في غير حاجة، ولا تصب على الخاطئين خطاياهم وابكِ على خطيئتك يا بن عمران".

أيها الطالب العلم:

عليك أن تستفيد من وصية الرسول صلى الله عليه وسلم في وجوب التواضع في طلب العلم والتواضع مع العلماء كما عليك إذا كنت عالمًا أن تزين علمك بالسكينة والوقار حتى يتجلى فيك تواضع العلماء وفهم الفقهاء وحلم الحكماء.

تذكر يا أخا المسلم هذه الحديث:

عن معاوية رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين"

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" أو كما قال.

الحمد لله توجهنا إليه وأشهد أن لا إله إلا الله توكلنا عليه
وأشهد أن محمدا رسول الله ميادتنا إليه وقدوتنا به وبعد:

فما هو موقف المعلمين اليوم من التلاميذ ؟
وما نظرة التلاميذ منهم ؟ وما هو موقف
العلماء ... وما هو المطلوب من المعلمين وما هو
المطلوب من التلاميذ .. وما هي العلاقة بين الجهل
والعلم والعلماء ؟!..

بعض المعلمين لا يقدرون قيمة الرسالة
الملقاة على عاتقهم ويرون أنه عملهم عبارة
عن مهنة واحتراف ولبس رسالة وفن ..
فمن التلاميذ لا يدركون = المغزى
من عملية التعليم فينحرفون عن السلوك
القويم ولا يؤدون الاحترام الواجب للمعلمين
المحترمين ... ولو أن أهل العلم صانوا علمهم : ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكنهم هانوه فهانوا ، ودنسوا محياه بالأطماع حتى بهتها

أن العلم الحقيقي غير ناتج عن مشكلات العقلية والنفسية
أو عقد من مشكلات الحياة العقلية وتكون استجابة
الرجل الباحث لدواعي الخير أقرب إلى التحقق من
استجابة العالم المحترف ... ولأنه الحرج هو استقامة
الضمير قبل استقامة الفكر التابع لله العلم كما أن سلامة
العقل لا خير فيه إن لم تصحبه سلامة القلب
والإنسان السوي هو الذي يأخذ نصيبه
من طهارة النفس كما يأخذ نصيبه من المعارف والعلوم

لقد عاب القرآن الكريم على أصحاب العلم ما أصابهم لأنهم
لم أيديهم من أخبار وأخطار جعلت الناس يتنازعون
في المسائل الصغيرة ويذهلون عن المثل العليا:
" وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم
وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب "

بل إن القرآن يعتبر أول ما أصاب العالم من خصام وفرقة
إنما هو نتيجة آثار العلم الزائف الذي ذمه وأدركه:
" كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما
اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم "

بإرادة الإسلام ساوى في دعوته إلى الحقّ بين صفة
العلماء الحاضرين وبين الجماهير التي هذه الآية فقال لهؤلاء:
((فإنْ حاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ
وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ؟ فَإِنْ أَسْلَمُوا
فَقَدِ اهْتَدَوْا - وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ)).

وإنّ للعلم النظرة التي يعرفها الناس
وما أجمل أن يستنير قلب الإنسان بما
استنارت به عقليته واتّضحت به فكرته
وما أقبح أن يخسر جلّ العالم جامح الغرائز
كأنه صبوة أو الرجل المتعلّم غير مؤدّب
وسيطير الشرر كأنه شيطان ---

المطلوب من العلماء أن يضعوا خلقهم
على أسمى رسالة كلّفهم الله بها فيعطوا
عطاءً متواضعاً لغير حدود عطاءً
غير ممنون عطاءً مفتوحاً على
مصاريعه

المطلوب من المدير أن يضيفوا إلى السمو
التعليمي والأخلاقي بحيث يصفوه أقرانهم كتلاميذ
أمام أساتذة أجلاء محترمين ...

عليهم الالتزام بمعايير الدراسة وقواعدها
وعليهم الاقتداء بقواعد السلوك وضوابطه

لتكون المدارس أماكن مقدسة ولست
~~مرتعا~~ تدفئة فيه القيم والأخلاق
مرتعا أو ملاجئ أو مصايد

المطلوب من العلماء أن يكونوا عاملين بعلمهم
في جميع النواحي معرفة وسلوكا وورعا وواضحا
وزهدا وأدبا. يستغفر الله ويتعوذ من ظاهر الأنانية
والنفعية ويتناول ما يقضي: اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا

٣ اللهم ابعث في أمتنا صيغة الاحترام والتقدير
٤ اللهم اشرح صدرنا بمرسى السلام المدير
١ اللهم افتح قلوبنا للعلم القديم
٢ اللهم يسر العلوم للكبير والصغير
٥ اللهم ارزق علمائنا علم الخير والعبر